المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:06، العدد:01 (2022)، ص296-307

الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الأشيري (نحو500-561هـ/1106-1165م) نشاطه وإسهاماته في الحياة العلمية مغربا ومشرقا

Abu Muhammad Abdullah ibn Muhammad Al-Sinhaji (about 500 / 561 ah) his activities and his contribution to scientific life in the Maghreb and the Mashreq

مراد تجنانت
جامعة البليدة 02 (الجزائر)
mourad.tadj@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/03/23
تاريخ القبول:
2022/04/22

الكلمات المفتاحية:
- ✓ أشير
- ✓ الجزائر
- ✓ فقه
- ✓ حديث

الملخص:

الغرض من هذا العمل هو التعريف بشخصية عبد الله بن محمد بن الصنهاجي المعروف بِابن الأشيري الفقيه المحدث والعالم في اللغة، تولى ابن الأشيري الكتابة في الأندلس للموحدين، ولما تعرض للمضايقة اضطر للهجرة إلى المشرق سنة 558هـ، فنزل بدمشق، ثم انتقل بطلب من الملك العادل نور الدين زنكي إلى حلب مدرسا؛ وفي عام 559هـ ثم التحق ببغداد لحضور مناقشة فقهاء المذاهب الأربعة السنية لكتابه الإفصاح . نال ابن الآشيري تقدير علماء المغرب والمشرق، وتعلم عنده كثير من طلبة العلم؛ وقد ألف مصنفات كثيرة غير أنها مفقودة لا تذكر المصادر التاريخية إلا القليل منها؛ وتوفي ابن الآشيري باللبوة قرب بعلبك يوم الأربعاء 25 شوال عام 561هـ في سفره مع الملك العادل إلى حمص، ودفن بظاهر باب حمص شمال بعلبك.

Article info

Received:
23/03/2022
Accepted:
22/04/2022

Key words:
- ✓ Ashir
- ✓ Algeria
- ✓ theology
- ✓ hadith

Abstract:

the purpose of this study is to reveal the personality of the theologian, scholar of hadith and linguist, Abdullah ibn Muhammad Ibn Al-Ashiri, he exercised the function of scribe among the in Andalusia; due to the exations , he was forced to emigrate to the Mashrek. He settled in Damascus,then Aleppo, and Baghdad. Ibn al-Ashiri was highly esteemed, students and scholars attended his classes. He had written many works which have unfortunately disappeared, only some of his titles are mentioned in historical sources. Ibn al-Ashiri died near Baalbeck in 561 ah, while traveling with Al-Malik al-Adil towards Homs, and buried in north of Baalbek.

مقدمة

يأتي هذا البحث في سياق التعريف بالشخصيات العلمية التي لم تأخذ مكانتها المستحقة في الذاكرة التاريخية للمغرب الأوسط، رغم أدوارها المرموقة في مجالات المعرفة والسياسة، وتداول في المصادر الأندلسية والمشرقية أخبارها، إنه الحافظ الفقيه أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد بن الصنهاجي المعروف بِابْن الأشيري.

قلَّت الكتابات التاريخية الحديثة في التعريف بهذه الشخصية الجزائرية، فقد قدَّم له الأستاذ عبد الله عنان ترجمة مختصرة في كتابه تاريخ الأندلس ناقلا تعريفه من كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الآبار (عنان، 1990، ص 660)، وعرّفه المؤرخ عادل نويهض في كتابه معجم أعلام الجزائر (نويهض، 1980، ص 16 ،17)، والشيخ مبارك الميلي في كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث والشيخ عبد الرحمن الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر العام، اعتمادا على معجم البلدان لياقوت الحماوي (الميلي الجزائري، 1986 ،ج2، ص272 والجيلالي، 1965، ص ص 399، 400)؛ وعرَّفت الباحثة المغربية حنان الحداد بالحافظ الفقيه عبد الله بن محمَّد الأشيري في مقدمة تحقيقها لكتاب "**الاستدراك على الاستيعاب**" للحافظ أبي إسحاق إبراهيم الطليطلي المعروف بابن الأمين (489-544هـ/1095-1144م) في سياق عرض الأعلام المحدثين الذين كانت لهم مستدركات على كتاب الاستيعاب للحافظ بن عبد البر، فلخصت أسماء بعض شيوخه وبعض من حدَّث عنه (الحداد ،2008م، ج1، ص ص 87، 88، 89)؛ وأنجز الباحث السعودي عبد الله بن محمَّد حسن دمنفو في بحث عنوانه "**الامام أبو محمَّد الأشيري واستدراكاته على كتاب الاستيعاب لابن عبد البر**"، قدم في الفصل الأول بلاد آشير وتعريفا ملخصا للفقيه أبي محمَّد الأشيري وشيوخه ومن أخذ عنه من أهل العلم، ثم فصلا ثانيا عرض فيه استدراكات ابن الأشيري على كتاب الاستيعاب، واعتمد الباحث في جمع مستدركات عبد الله الآشيري على كتاب أسد الغاب في تمييز الصحابة للمؤرخ عز الدين بن الأثير (دمنفو، 1912، ص 53 فما بعدها وص 57 فما بعدها).

ستكون الإضافات في هذا البحث بتفصيل وتدقيق بعض المعلومات التي ذُكرت من قبل ومراجعتها بما يزيد من معرفتنا بالحافظ عبد الله بن الأشيري، كتاريخ ولادته وأسباب هجرة العائلة والأشيريين عامة من بلادهم؛ واستقرار عبد الله بن محمَّد الأشيري بالأندلس وأسباب الخروج الاضطراري في اتجاه الغرب، وتعريف موسع بشيوخه وطلبته ومن أخذ منه العلم، وأهم الأحداث التي ميزت حياته وانتاجه العلمي.

1. التعريف وأسباب الهجرة إلى الأندلس

1.1. تعريف عبد الله ابن الأشيري

هو أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد بن عبد الله بن علي الصنهاجي المعروف بِابن الأشيري نسبة إلى بلاد آشير (القفطي 1982.ج2، ص 137و ابن الأبار، 1995، ج2، ص304)؛ أضاف له المؤرخ ابن خلكان اسم مجد الدين (ابن خلكان، 1994، ج7، ص 86)، كانت ولادته حسب الحافظ المؤرخ أبو الفداء ابن قُطْلُوْبَغَا فكانت عام 500هـ/1106م (ابن قُطْلُوْبَغَا،2011، ج6، ص 113).

2.1. الهجرة عائلة ابن الأشيري ودوافعها

استوطن أجداد ابن الأشيري من الصنهاجيين بلاد آشير، ثم رحلوا عنها في اتجاه الغرب، مثل كثير من العائلات الأشيرية، نذكر منها عائلة الأديب الكاتب، الشاعر العارف بالقراءات واللغة والغريب الحسن بن عبد الله بن حسن الكاتب، المعروف هو كذلك بابن الأشيري، ولد بتلمسان ونشأ بها ثم انتقل إلى الأندلس قبل سنة 540هـ (ابن الأبار، 1995، ج1، ص 218). وعائلة المحدث، الحافظ موسى بن حجاج بن أبي بكر الأشيري (ت 589هـ/1193) أصله من مدينة آشير، سكن دلس ثم رحل إلى الأندلس سنة 535هـ/1140م، فسمع من علماء بأشبيلية وقرطبة وألمرية، ثم عاد إلى مدينة الجزائر سنة 540هـ/1145م ثم دلس وتوفي بها (ابن الأبار، 1995،ج2، ص182)، والمحدث والعالم في النَّحو محَّمد بن قَاسم بن منداس بن عبد الله الأشيري النَّحويّ (557 -643هـ/1161-1245م)، يبدو أن عائلته استقرت بمدينة الجزائر، عمل بجاية وسمع من علماء المدينتين ثم دخل الأندلس فَسمع إجازة من بعض علماء مدينة مالقة (ابن الأبار، 1995،ج2، ص 168).

لم تبين المصادر وجهة العائلة الأشيرية ناحية الغرب، قد يكون مقرها الأول تلمسان أو مدينة شمال المغرب الأقصى، قبل النزول ببلاد الأندلس منفردا في مرحلة الشباب أو مع عائلته في فترة الطفولة، وقد وضعه ابن الأبار في تراجمه ضمن الغرباء (ابن الأبار ،2012، ج2، ص 302).

ساهمت مجموعة من الأحداث منذ مطلع القرن الخامس الهجري في تدهور أوضاع آشير الأمنية والاقتصادية والاجتماعية، وتكون قد دفعت كثيرا من العائلات الآشيرية إلى مغادرة البلاد إلى آفاق جديدة.

تذكر المصادر التاريخية أن بلاد آشير شهدت في القرنين الخامس والسادس الهجريين فترات من عدم الاستقرار. نلخصها في العهد الزيري في مهاجمة الأمير حماد بن بلكين سنة 406هـ/1015م البلاد وقتله خلقا كثيرا من الصنهاجيين والتلكاتين القاطنين بها، قال ابن الأثير في سبب نكبة آشير سنة 406هـ: "**وَقَتَلَ حَمَّادٌ مِنْ أَهْلِ أَشِيرَ كَثِيرًا حَيْثُ أَشَارُوا عَلَى كَرَامَتَ بِحِفْظِ الْبَلَدِ وَمَنْعِ حَمَّادٍ مِنْهُ**" (ابن الأثير ،1987، ج7، ص 604)، ثم بعد سنة 440هـ /1048م خرَّبها الأمير يوسف محَّمد بن حماد لما كان في نزاع مع ابن أخيه الأمير محسن بن القايد، قال البكري: "**واستباح أموالها وفضح حرمها**" (البكري، (د ت ط)، ج2، ص 725)، وتعرضت بلاد آشير للنكبة لما هاجمها من تلمسان تاشفين بن تاشفين في عهد الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين، في أواخر القرن الخامس الهجري حتى نهض إليه الأمير المنصور بن النَّاصر بن علنَّاس الحماد (482-498هـ/1090-1105م) من بجاية وفي ركب الجيش الصنهاجي قبائل الأثبج وزغبة وربيعة ورياح والمعقل؛ ووصلت حملته إلى تلمسان حيث هزم المرابطين سنة 486هـ/1093م (ابن خلدون، 1988،ج7، ص 75)، ويبدو أن الخراب الذي أحدثه الأمير المرابطي بالمدينة قد دفع كثير من أهاليها لمغادرتها إلى آفاق جديدة رغم عمل الحماديين على إعادة تشييدها وتأمين سكانها من الأخطار.

بقيت بلاد آشير تعاني في فترات من التاريخ من عدم الاستقرار بسبب استمرار الحرب بين الموحدين وبني غانية ومن حالفهم من القبائل الهلالية سنة 581هـ/1185م (ابن عذارى، 1985، ج6، ص 327).

بدأت آشير تفقد مكانها ووزنها الاستراتيجي والاقتصادي ضمن نسيج مدن المغرب الأوسط بانتقال بني زيري إلى مدينة المنصورية لما سلَّم الخليفة الفاطمي المعز لدين الله أمور بلاد المغرب عند انتقاله إلى مصر سنة 361هـ/972م (ابن الأثير، 1987، ج7، ص304)، وزاد في تراجع مكانة بلاد آشير بناء الأمير حماد بن بلكين القلعة قرب المسيلة سنة 398هـ/1007م وجعلها مقرا لولايته على المغرب الأوسط (ابن خلدون، 1988، ج6، ص 227)، ثم اختيار الأمير الحمادي النَّاصر بن علناَّس بجاية حاضرة جديدة للدولة سنة 457هـ/1064م (ابن الأثير، 1987، ج8، ص 202).

لا نعرف بالضبط تاريخ انتقال عبد الله بن الأشيري أو عائلته إلى الأندلس، إلا أن بعض الأخبار تظهر أنه كان مقيما بها في حياة القاضي المحدث حسين بن محَّمد الصَّدفِيُّ السرقسطي الذي توفي عام 514هـ/1120م وكان يسمع منه الحديث (القزويني،1987، ج3، ص 188) وسنه في هذه الحالة أربع عشرة سنة؛ ويُستبعد أن يكون قد جلس في سنّ الخامسة من عمره عند الحافظ محَّمد بن حيدرة بن أحمد بن مفوز الذي توفي عام 505هـ/1111م، كما ورد في رواية للذهبي أن الحافظ مفوز أنشد ابن الآشيري أبيات شعرية في الرّد على بعض تلاميذ ابن حزم الأندلسي (الذهبي، 1993، ج 42، ص 403)، هذا إذا صحت رواية المؤرخ أبا الفداء ابن قُطْلُوْبَغَا التي تجعل ولادة ابن الأشيري سنة 500هـ/1106م (ابن قُطْلُوْبَغَا، 2011، ج6، ص 113)، الأكيد أنه كان موجودا بالأندلس سنة 520هـ/ 1126م لما كان يسمع الحديث من الحافظ أحمد بن غزلون التطيلي المتوفى في هذه السنة المذكورة (ابن الأبار ،2012 ،ج2، ص302).

لا تذكر المصادر لابن الأشيري من الأبناء بالاسم إلا محَّمدا خلّفه بمكة مع أهله سنة 561هـ/1165م (ابن عساكر، 1995، ج32، ص 235)، ثم صار جنديا للملك العادل نور الدين محمود زنكي، وكان يكنى به (القفطي، 1982، ج2، ص ص 137، 140)، ويكون محَّمد الفتى الذي كان يحضر مع أبيه جلسات شرح تأليف "**الإفصاح عن شرح معاني الصحاح**" للوزير الفقيه الحنبلي يحيى بن هبيرة (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 2006، ج15ص).

2. شيوخ الحافظ عبد الله ابن الأشيري الذين أجازوه وسمع منهم

كان للحافظ الفقيه عبد الله بن محَّمد الأشيري الحظ في مجالسة كبار علماء الأندلس، فأجاز له سنة 525هـ/1130م الحافظ أبو الحسن عَليّ بن عبد الله بن موهب المري الجذامي (ت532هـ/1137م) ما سمعه منه عن جمع من جلّة العلماء منهم الحافظ بابن عبد البر (ت نحو 448هـ/ 1058م) والعالم الفقيه المالكي سليمان بن خلف الباجي بِالْإِجَازَةِ (ت 474هـ/1081م) (ابن بشكوال، 1955، ص 505، وابن نقطة، 1989، ج2، ص 113)، وسمع ابن الأشيري الحافظ أحمد بن غزلون بن علي الأموي التطيلي (ت نحو 520 هـ/1126م) (ابن الأبار، 2012، ج2، ص 304) الذي كان يروى عن أبي الوليد الباجي، وهو معدود في كبار أصحابه (ابن بشكوال، 1955، ص 79)؛ ومن شيوخه القاضي الفقيه المالكي والحافظ أبو بكر محَّمد بن عبد الله بن محَّمد بن العربي المعافري الاشبيلي (ت543هـ/1147م) سمع منه بعد عودته من رحلته العلمية المشرقية

(ابن الأبار، 2012، ج2، ص 304)، وكان ابن الأشيري يسمع مع جمع كثير من الطلبة من القَاضِي وإمام أهل الحديث في وقته عِيَاض بن مُوسَى بن عِيَاض اليحصبِي(ت544هـ/ت1149م)، وسمع من قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب صلاة الفريضة بجامعها محَّمد بن أصبغ العروف بابن المناصف(ت 536هـ/1142م) (ابن نقطة، 1989، ج1، ص 193)، ومن أبي الحسن شريح بن محَّمد بن شُريح الرعيني (ت 539هـ/ 1144 م) المقرئ الخطيب بإشبيلية وقاضيها ومن أبي الوليد يوسف بن عبد العزيز الأندي المعروف بِابن الدّباغ الحافظ العالم برجال الحديث صاحب "**كتاب فِي مشتبه الْأَسْمَاء ومشتبه النِّسْبَة**" (ت544هـ/1149م) (ابن نقطة، 1989، ج1، ص 193)؛ ومن جملة شيوخ عبد الله ابن الأشيري القاضي الفقيه محَّمد بن عبد العزيز بن عبد الله الزغيبي (كان حيا في مطلع القرن السادس الهجري/الرابع عشر ميلادي) نقل عنه ابن الأشيري بخطه كتاب "**أحكام الْقضاء**" (ابن نقطة، 1989، ج2، ص 739).

قد يكون القاضي أبو عَلِيٍّ حسين بن محَّمد الصَّدفِيُّ السرقسطي المتوفى سنة 514هـ/1120م من الشيوخ الذين أخذا عنهم ابن الأشيري إنباءً (القزويني، 1987، ج3، ص 188)، رغم أن ابن الأبار في التكملة ولا ابن نقطة في الاكمال لم يثبتا ذاك (ابن الأبار، 2012، ج2، ص 304 وابن نقطة، 1989، ج1، ص 193)، ويُستبعد كما سبق ذكره أن يكون قد سمع من الحافظ محَّمد بن حيدرة بن أحمد بن مفوز الذي توفي سنة 505هـ/1110م وسنه يناهز خمس سنوات (الذهبي، 1993، ج42، ص 403)؛ وفي دمشق سمع الأشيري من الحافظ المؤرخ ابن عساكر (ت571هـ/1175م) الذي ألَّف لأجله كتابا سماه "**بعض ما انتهى إلينا من الأخبار في ذكر من وافقت كنيته كنية زوجته من الصحابة الأخيار**" ونقله عنه ابن الأشيري كتابة(ابن عساكر، 1995، ج32، ص ص234، 235).

3.وظيفة عبد الله ابن الأشيري في الدولة الموحدية ودوافع هجرته إلى المشرق

يقول المؤرخ ابن عساكر أن عبد الله بن الأشيري كان كَاتبا لصَاحب المغرب يقصد الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (ابن عساكر، 1995، ج32، ص ص234)، وأضاف الحافظ الحنبلي جمال الدّين القِفْطيّ (ت646هـ/1248م) أن ابن الأشيري جرت له أمور مع بعض القوم بالأندلس، فلما خشي عاقبته انصرف منهزما إلى المشرق، ومعه أهله وكتبه وما أمكنه استصحابه (القفطي، 1982، ج2، ص ص138، 139)؛ ويذكر ابن عساكر أن أبا محَّمد الأشيري رحل عن الأندلس في عمر متقدم نحو ثماني وخمسين سنة، وكانت هجرته سنة 558هـ/1162م بعد وفاة الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي ورحيل ولِّي عهده يوسف بن عبد المؤمن عن الأندلس (ابن عساكر،1995، ج32، ص 234). لما تعرضت له بعض الأطراف وأتلفت كتبه، فأدرك ابن الأشيري أنه قد فقد الحماية التي كان يحظى بها عند الأمير يوسف بن عبد المؤمن باعتباره موظفا في الدولة الموحدية عجَّل في خروجه وأسرته من الأندلس، وقد ذكر الباحث دمنفو أن سبب خروج ابن الأشيري من الاندلس يعود لما حصل له مع التُومَرْتِيينَ من محاربة المذهب المالكي وفرض عقيدة المرشدة لابن تومرت (دمنفو، 1912، ص 55).

4. إقامة عبد لله ابن الأشيري بالمشرق (558 -561هـ/ 1162-1165م)

1.4. نزول عبد الله ابن الأشيري بالشام

أقام عبد الله ابن الأشيري بدمشق مدة جالس فيها الحافظ المؤرخ علي بن الحسن ابن عساكر، حتى طلب منه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي الانتقال إلى حلب مدرسا لما سمع ثناء كاتبه القاضي شاكر بن عبد الله التنوخي وأمير يُعرف بأبي يعقوب يوسف بن علي الملثم، وقرر له المالك العادل معاشا فأقام هناك معلِّما سنتي 558 و559هـ يُحدِث بالموطأ (ابن عساكر ،1995، ج32، ص 235) بمدرسة الحلويين بظاهر باب الجامع الكبير بحلب (ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، 1996، ص 286).

2.4. الانتقال إلى بغداد

انتقل عبد الله ابن الأشيري إلى بغداد سنة 559هـ/1163م، لما طلبه الوزير في الدولة العباسية الفقيه الحنبلي يحيى بن هبيرة من الملك العادل، حتى يشارك مع جمع من الفقهاء في مناقشة كتابه "**الإفصاح عن شرح معاني الصحاح**" في شرح صحيحي البخاري ومسلم، فأكرمه الوزير ابن هبيرة و ولاَّه إقراء الحديث، وتدريس علومه ببغداد (ابن عساكر، 1995، ج32، ص 235)؛ ويحيى بن هبيرة الذهلي (499-560هـ/1105-1165م)، من كبار الوزراء في الدولة العباسية في عهد الخليفة العباسي المقتفي ثم المستنج، وهو عالم بالفقه والأدب، صنف كتبا، منها "**الإيضاح والتبيين في اختلاف الأئمة المجتهدين والإشراف على مذاهب الأشراف في الفقه**"، (الزركلي، 2002، ج8، ص175) زيادة على كتابه الإفصاح.

5.اشتغال عبد الله ابن الأشيري بالتعليم

كان طلبة العلم وكبار علماء المشرق، يحضرون حلقات عبد الله الأشيري حيثما حلَّ، يروي لسامعيه عن الفقيه المالكي أبي بكر ابن العربي والقاضي عيَّاض بن موسى بن عياض اليحصبي (القفطي،1982، ج2، ص ص138، 139) والحافظ ابن الدباغ، والمفسر علي بن عبد الله بن محَّمد بن موهب الجذامي المري (ت 532هـ/1137م) (ابن الدبيثي 2006 ، ج3، ص 486)؛ ففي حلب سمع منه المدرس بمدرسة الحلاويين العلاء محمود الغزنويّ، والفقيه الشافعي والمحدث الزاهد عبد الرَّحمن بن عبد الله الحلبِي المعروف بابن الأستاذ (ت 623هـ/1226م) (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 2006، ج16، ص227)؛ وكان عبد الله ابن الأشيري من شيوخ المقرئ وقاضي حلب الشافعي أبا المحاسن بهاء الدين ابن شدَّاد الأسدي، (ت632هـ/ 1234م)، فأجاز له جميع ما كان يرويه، وفي فهرسة ابن شدَّاد خط ابن الأشيري مؤرخا بشهر رمضان عام 559هـ/1163م (ابن خلكان، 1994 ،ج7، ص 86).

سمع من ابن الأشيري ببغداد الحافظ ثم قاضي قضاة بغداد أبو المحاسن عمر بن علي القرشي (ت575هـ/1179م)، والمحدث أبو بكر محَّمد بن أبي طاهر بن مشق (توفي شابا سنة 593هـ/1193م)، وأبو العباس أحمد بن أحمد ابن البندنيجي (ت615هـ/ 1218م) المقرأ المحدث ومن الشهود العدول عند قاضي قضاة بغداد (ابن الدبيثي، 2006، ج3، ص486)، وروى عنه سماعا في شبابه عام 559هـ/1163م الحافظ الفقيه

الحنبلي المقرأ أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج البغدادي (536- 619هـ/1141-1222م)، جاء في الذيل على تاريخ بغداد للدبيثي قول نصر بن أبي الفرج: "...**قرأت على أبي الفتوح نصر بن أبي الفرج البغدادي بالمسجد الحرام، قلت له: أخبركم أبو محَّمد عبد الله بن محَّمد الأشيري قراءةً عليه وأنت تسمع ببغداد في شوال سنة تسع وخمسين وخمس مئة، فأقر به**" (ابن الدبيثي، 2006 ،ج3، ص486)، وأخذ عنه قراءةً وسَماعًا وإجازة المحدث عليُّ بن عَتِيق بن الأنصاريُّ الخَزْرَجيُّ الأندلسي(ت 598هـ/1201م) لما لقيه بمكة المكرمة (الأنصاري ،2012 ، ج3، ص 218)، وسمع منه المحدث عَبْد العزيز بن حاجي بن أبي علي الشقاني المعروف بابن عبده (القزويني، 1987، ج3، ص ص 187، 188) والمحدث محَّمد بن حمزة أبو الوفاء الحَلَبِي (ت 624هـ/1226م) (الذهبي تاريخ الإسلام، 1993، ج13، ص782)، و بحلب الحافظ سمع منه أبو القاسم الحسين بن هبة الله ابن صَصْرِى (ت 626هـ/1228م) (ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، 1988 ،ج6، ص ص 2794، 2797).

6.مكانة الحافظ عبد الله ابن الأشيري عند أهل العلم ورجال الدولة

1.6. ثناء العلماء على الحافظ الفقيه عبد الله ابن الأشيري

نال أبو محَّمد عبد الله الأشيري تقدير علماء المشرق في الشام والعراق ومصر والحجاز، فشهدوا له بالكفاءة، وأخذوا عنه العلوم كما سبق عرضه، بما استوعبه عند أقطاب مشايخ الأندلس من علوم في مختلف مواضيعها النقلية؛ فوصفه المحدث المؤرخ ابن عساكر بالكهل الفاضل والأديب الشاعر الذي حدَّث بالموطأ رغم أنه عَلَّقَ ابن عساكر، 1995، ج32، ص ص 234، 235) عنه شيئا مما سمعه عنه من إخْبَار الفقيه الأندلسي أبي الوليد الباجي لسقوط من مبدأ إسناده في طرفه الأدنى راوٍ فأكثر على التوالي (النعيمي، 2010م. ص ص 84، 85 ، 86) ، ولم يسمع منه حديثا مسندا معللا ذلك بنزول سند روايات ابن الأشيري، بمعنى بُعد المسافة وكثرة الرجال في أسانيده التي يرويها (الحلبي، 1997، ص ص 358، 362)، وأثنى عليه المؤرخ عز الدين بن الأثير فقال: "**وهو من الفضلاء**" (ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، 1994، ج2، ص 375)؛ وجاء في الثقات للفقيه الحنفي ابن قُطْلُوْبَغَا (802 -879هـ/ 1399- 1474م) أن الحافظ نصر بن الفرج بن الحُصْرِيِّ (ت 619هـ/1222م) الذي روى عن ابن الأشيري، قال: "**كان إماماً في الحديث، ذا معرفة بفقهه ومعانيه وغريبه، والكلام عليه، وأسماء رجاله وأنسابهم، وله يد باسطة في النَّحو واللغة**" (ابن قُطْلُوْبَغَا، 2011، ص 113، 114)، و وصفه الفقيه المحدث أبوبكر ابن نقطة (ت 629هـ/1231م) في كتاب إكمال الإكمال بالمحدث الحافظ (ابن نقطة، 1989، ج7، ص86 وابن العديم، بغية الطلب، 1988، ج5، ص 2158)؛ وجاء في ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي (ت637هـ/1239) أنه: "**كان فاضلاً عالماً له معرفة حسنة بالحديث ومعانيه والأسانيد والأنساب والأسامي، له نظرٌ جيدٌ في الفقه والنَّحو واللغة**" (ابن الدبيثي، 2006 ،ج3، ص485)، وشهد له الوزير المؤرخ علي بن يوسف القفطي (ت 646هـ/ 1248م) في كتابه إنباه الرواة على أنباه النحاة بكفاءته في اللغة فقال: "**إنما ذكرت الأشيري في اللّغويين لأنه صنَّف كتابا هذّب فيه الاشتقاق الذى صنفه المبرّد، ورأيته**

فأحسن فيه" (القفطي، 1982، ج2، ص140)، رفعه المؤرخ المحقق الذهبي (ت 748هـ/1348) إلى مقام أئمة العلم بالإسناد واللّغة والنَّسَب والنَّحو والفقه المالكي (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 2006، ج15، ص195، وتاريخ الإسلام، 1993، ج39، ص82)، وجمع ابن الدبيثي ثناء أهل العلم على الحافظ لفقيه عبد الله ابن الأشيري وشهودهم له بالمكانة الرفيعة بقوله: "**سمعت جماعةً ممن لقيه يثنون عليه ويصفونه بالفضل والحفظ والمعرفة**" (ابن الدبيثي، 2006 ،ج5، ص 485)؛ وجعله المؤرخ الحافظ والفقيه الشافعي ابن نصر الدين الدمشقي (ت842هـ/1438م) في كتابه "**التبيان في شرح أرجوزته بديعة البيان عن موت الأعيان في الطبقة السابعة عشر من الحفاظ المحدثين**" فقال:

المَـــــغْرِبِي الحَـــــافِظُ الأشيري أَبْدَى سَمَـــــاعَ ثبته الكبـــــيرِ

وبَعْـــــدَهُ المُحَـــرِّرُ المَعَـــــانِي عَبْـــدَ الكَرِيمِ ذَا فَتَى السَّمعـــــانِي

وتفسيره أنه تلقى المرويات من أصحابها سماعا وتثبيتا أي كتابة والثاء والألف والسين تظهر وفاة الأشيري سنة 561هـ/1165م (الدمشقي، 2008، ج2، ص1293).

2.6. تقدير رجال الدولة لابن الأشيري

كسب عبد الله ابن الأشيري ثقة رجال الدولة فجعله الأمراء الموحدون من كتَّابهم حتى نهاية إمارة يوسف بن عبد المؤمن على الأندلس، وحضي باحترام الملك العادل نور الدين زنكيى، الذي كلَّفه بمهام التدريس بحلب لحاجة أهلها إلى مثله في تقوية السُّنة النبوية بها ، وقد ذكره عند الملك العادل وأثنى على كفاءته العلمية القاضي والمنشئ على أبو اليسر شاكر بن عبد الله التنوخي للملك العادل والأمير أبو يعقوب يوسف بن علي الملثم (ابن عساكر، 1995، ج32، ص 235).

اتصف الفقيه ابن الأشيري بالتواضع، يُقر بخطئه إذا أخطأ، فلما كان يوما في حلقة علم يقْرأُ الحَدِيث غلط فِي شيءٍ سبقه إِلَيْهِ لِسَانه فَردَّه عَلَيْهِ أحد الْحَاضِرين فقبل قَوْله وَقَالَ: "**الْقَارئ أَسِير المستمع**" اعترافا منه بزلة لسانه (الصفدي، 2000، ج17، ص 289).

أظهر عبد الله ابن الأشيري في موقف آخر ثباتا على قناعاته العلمية، فلخص الذهبي عن الحافظ الزاهد الفقيه الحنبلي أبو الفتوح ابن الحُصْيرِيُّ (ت 619هـ/1222م) النِقاشَ الذي دار في إحدى الحلقات العلمية التي كان يقيمها الوزير الحنبلي ابن هبْرة حول كتابه "**الإفصاح عن شرح معاني الصحاح**"، فبينما قال الحضور من الفقهاء أن الرواية دعاء النّبي ﷺ يوْم بَدْرٍ: "**إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةُ**" تفرّد بها الإمام أحمد بن حنبل، قال عبد الله ابن الأشيري أنها من روايات الإمام لمالك، ونَازع ابن الأشيري الحاضرين بإصرار وبقي متمسكا برأيه، محرجا الوزير ابن هبيرة حتى نهره بكلام جارح؛ ثم ان الوزير ندم على ما صدر منه وطلب من ابن الأشيري العفو،

واعتذر إليه ودعاه أن يرد له بمثل ما قال، وفي الأخير وصله بمال، ونقل الذهبي عن المقرإ أَبي الفُتوحِ بن الحُصْرِيِّ أن الصواب كان مع ابن الأشيري (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 2006 ،ج15، ص 195).

لا نستبعد أن يكون الحافظ عبد الله ابن الأشيري قد اطلاع على الحديث برواية الإمام مالك في نسخة من النسخ الكثيرة التي نقلت الموطأ وقد عدّها القاضي عياض بنحو عشرين نسخة، وأضاف أن بعض المحدثين قد أوصلها إلى ثلاثين نسخة، يقول القاضي عياض: "**والذي اشتهر من نسخ الموطأ مما رويته أو وقفت عليه أو كان في روايات شيوخنا رحمهم الله أو نقل منه أصحاب اختلاف الموطئات نحو عشرين نسخة وذكر بعضهم أنها ثلاثون نسخة وبالله التوفيق**" (عياض، 1966، ج2، ص 89)؛ ثم إن الحديث لم ينفرد بروايته الإمام أحمد وحده كما ادعاه الوزير ابن هبيرة و الفقهاء، بل جاء في كثير من مصنفات رجال الحديث في القرن الثالث الهجري، نذكر منهم الحافظ ابن أبي شيبة (ت 235هـ/ 849م) في كتاب "**المصنف في الأحاديث والآثار**" في رواية عن عمر بن الخطاب ومحَّمد بن عيسى الترمذي في سننه (ت 275هـ/888م) وغيرهما من المحدثين (ابن أبي شيبة، 1988، ج7، ص357 والترمذي، 1975، ج5، ص269).

7.الإنتاج العلمي للحافظ الفقيه عبد الله ابن لابن الأشيري

ألف ابن الأشيري في مختلف العلوم النقلية، وقد نوَّه أهل العلم بجودة وصحة مصنفاته، في مقدمتهم المؤرخ ابن عساكر الذي شهد أنه صاحب كتب حسان (ابن عساكر، 1995، ج32، ص 234)، غير أن كثيرا من كتبه أتلفها خصومه في الأندلس، وما أخذه إلى المشرق اضطرت عائلته لبيعه بحلب بعد وفاته لسد دين كان عليه؛ وحفظت المصادر بعض العناوين التي ألّفها عبد الله بن الأشيري، منها كتاب "**تهذيب الاشتقاق في دلالات الكلام**" التي يُعرف بها أصل الألفاظ لمحَّمد بن يزيد المبرّد إمام اللغة ببغداد في زمانه، وكان بخطه عند المؤرخ علي بن يوسف القفطي (القفطي، 1982، ج2، ص140)؛ وكتاب "**وجوب الطُّمَأنِينة**" ولم يبين المؤرخ الصفدي موضوعه (الصفدي، 2000، ج17، ص 289)، ونقل ابن الأبار أن ابن الأشيري له شرح على قصيدة المقرئ الشاعر أبي الحسن علي بن عبد الغني الفهري الحُصْيرِيُّ (ت488هـ/1085م) في قراءة الإمام نافع (ابن الأبار، 2012، ج2، ص 304)، وكانت له معارضات على بعض أبياتها منها في قول الحصيري:

وَلَكِنَ ذِكْرَى الدَّارِ مَعَ شِبْهِ لَهَا ... بَدَا رُقِقَتْ لِلضعْفِ فِي الكَافِ وَالكَسْوِ

وكقوله:

وقد قَرَأَ القُرَّاءُ طَرَا ونَـــــافِعُ ... بِإِشْمَـــــامٍ تَأْمَنَّـــا أَمِنْتَ مِنَ الشَرِ

(الحُصْيرِيُّ، 2002، ص56)؛ و ضبط ابن الأشيري كتاب " **أحكام القضاة**" للفقيه المحدث والعالم بالأنساب محَّمد بن عبد العزيز الكلابي الزغبي الذي كان من جملَة شُيُوخه، نقله المؤرخ الوزير ابن نقطة من خط ابن الأشيري (ابن نقطة، 1986، ج2، ص 739، وابن حجر العسقلاني، (د ت ط) ، ج2، ص630)؛ ومن أعمال ابن الأشيري المفقودة حاشية على كتاب "**الاستيعاب**" للحافظ ابن عبد البر، استدرك فيها بعض الأعلام الذين

كانت لهم صحبة للنّبي ﷺ، قرأها ونقل بعضها بخط يد ابن الأشيري المغربي المؤرخ عز الدين ابن الأثير في كتابه أسد الغابة في معرفة الصحابة (ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، 1994، ج2، ص ص 40، 57، 327 فما بعدها)؛ وأورد المؤرخ ابن العديم (ت 660هـ/1261م) في كتابه "**بغية الطلب في تاريخ حلب**"، أعلاما للصحابة أغلبها رواها ابن الأشيري عن العالم المحدث الأندلسي يوسف بن عبد العزيز بن يوسف الأندي، المعروف بِابن الدّباغ، وبعضها رواها عن القاضي عياض (ابن العديم، بغية الطلب، 1988، ج2، ص 796 وج3، ص 1526 وج7، ص 2775).

يبدو أن عبد الله ابن الأشيري كان جامعا لمصنفات العلماء منها نسخة متقنة من كتاب "**المتفق والمفترق في رواة الحديث**" في الرواة الذين تتفق أسماؤهم مع اختلاف أشخاصهم (النعيمي، 2010، ص252) للحافظ المؤرخ الخطيب أحمد بن علي البغدادي (ت 463هـ/1072م) وقد ذكر ذلك الباحث شادي بن محمّد في تحقيق كتاب الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة ابن قُطْلُوْبَغَا (ابن قُطْلُوْبَغَا،2011، ص ص 18، 19، 20)؛ ونقل ابن الأشيري إلى المشرق كتاب حجَّة الوداع للفقيه الظاهري علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، يخبرنا المحقق عبد الحق بن ملاحقي التركماني أن في الورقة 161 الأخيرة من نسخة المخطوط الذي وجده بمكتبة كتاهية بالجمهورية التركية حاشيةٌ أولها قَالَ: "**الأَشِيرِي فِي كِتَابِهِ الذِي نُسِخ مِنْهُ هَذَا الكِتَابُ كَتَبْتُ هَذِهِ الحَاشِيَةَ مِنْ خَطِ الشَيْخِ أَبِي محَّمد ابْنِ حَزْمٍ وَكَانَتْ مَكْتُوبَةً عَلَى هَذَا المَوضِعِ مِنْ كِتَابِهِ كَذَا...**"، **يقول المحقق عبد الحق بن ملاحقي: "فليس بين نسختنا هذه و نسخة أبي محَّمد إلا ناسخ واحد هو العلامة الأشيري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى**"؛

وقد جاءت نسخة ابن الأشيري تحت عنوان "**ذكر حجَّة الوداع و ترتيبها وصفتها من حين خرج رسول الله من المدينة عامدا إلى مكَّة إلى حين رجوعه عليه السلام محذوف الدلائل و الحجج**" (ابن حزم ،2008، ص ص 14، 15، 42).

8.في سفره إلى الحجّ ووفاته

خرج ابن الأشيري إلى الحج سنة 560هـ/1164م ثم قدم إلى دمشق سنة 561هـ/1165م مخلفا ولده وزوجته بمكَّة؛ واجتمع بابن عساكر يوم عيد الفطر بدمشق توجه بعدها إلى حلب، ثم سار مع الملك العادل إلى حمص؛ غير أن المرض نال منه فتخلّف عن الركب، وتوفي باللبوة يوم الأربعاء 25 شوال عام 561هـ/1165م؛ واستأذن رفقته الملك العادل في حمله إلى بعلبك، حيث دُفن بظاهر باب حمص شمالي بعلبك، و صلى على الفقيه الحافظ عبد الله ابن الأشيري أهل بغداد صلاة الغائب يوم الجمعة مستهل محرم سنة 562هـ/1166م (الدبيثي، 2006، ج3، ص 487)، ثم زار قبره الملك العادل (ابن عساكر، 1995، ج32، ص 235)، وبعد نحو خمسة قرون وقف على قبر عبد لله بن الأشيري الفقيه المؤرخ ابن عماد الحنبلي (ت 1089هـ/1678م) فشاهد أن قبره بقي ظاهرا ببعلبك (ابن العماد الحنبلي، 1986، ج6، ص 330).

إكراما للشيخ عبد الله ابن الأشيري اجتذب الملك العادل عياله إلى الشام وأنزلهم مدينة حلب بعدما خاطبه في أمرهم القاضي أبو اليسر التنوخي، وقرر لهم كفايتهم (ابن عساكر، 1995، ج32، ص 235)، أما ابنه محَّمد فقد اشتغل بالجندية حتى مات في الخدمة كما سبق ذكره.

خاتمة

تبين في الأخير أن أبا محَّمد عبد الله بن الأشيري كان صاحب مقام راقي في العلوم النقلية، خاصة الفقه على مذهب الإمام مالك والحديث وعلوم اللغة، بما أخذه من كبار علماء الأندلس.

نال عبد الله ابن الأشيري ثقة الموحدين بالأندلس في عهد ولاية الأمير يوسف بن عبد المؤمن فتولى وظيفة الكتابة رغم التزامه بمذهب الإمام مالك ثم التدريس في الشام خاصة بحلب بطلب من الملك العادل نور الدين الزنكي، ثم بغداد، وجلس لسماعه الطلبة في البلدان التي حلَّ بها.

ألّف ابن الأشيري تصانيف عديدة في مختلف العلوم النقلية وخلّف انتاجا أدبيا ضاع بعضها في الأندلس بسبب إتلاف مناوئيه لها وباعت عائلته ما تبقى منها بعد وفاته، لكن أثر هذه المؤلفات العلمية بقي صداه في المصدر التاريخية والعلمية بالمشرق التي نوهت بقيمتها العلمية.

يجب توسيع مجال البحث حول هذه الشخصية العلمية الجزائرية التي اعترف لها أهل الاختصاص بالرتب الرفيعة، وتشمل هذه مهمة البحث المختصين في الفقه والحديث واللغة والباحثين في التاريخ للوصول إلى مصنفات ابن الأشيري التي لا يُستبعد تواجدها في مختلف المكتبات، فتمكن المحقق عبد الحق بن ملاحقي التركماني من اكتشاف نسخة عبد الله ابن الأشيري لكتاب حجَّة الوداع للفقيه الظاهري علي بن أحمد بن حزم الأندلسي بمكتبة كتاهية بالجمهورية التركية يبعث على الأمل في الوصول إلى بعض مصنفات الحافظ عبد الله بن محَّمد ابن الأشيري المفقودة لحد الآن.

المصادر

- ابن خلكان أحمد بن محَّمد، (1994)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، بيروت لبنان، دار صادر.
- ابن أبي شيبة عبد الله بن محَّمد، (1498)، **المصنف في الأحاديث والآثار**، المملكة العربية السعودية الرياض، مكتبة الرشد.
- ابن الأبار، محَّمد بن عبد الله، (1995)، **التكملة لكتاب الصلة**، لبنان، بيروت لبنان، دار الفكر للطباعة.
- ابن الأثير علي بن أبي الكرم، (1994)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية.
- ابن الأثير علي بن أبي الكرم، (1987)، **الكامل في التاريخ**، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية.
- ابن الدبيثي محَّمد بن سعيد، (2006)، ذيل تاريخ مدينة السلام، بيروت لبنان، دار الغرب الإسلامي.
- ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد، (1988)، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، بيروت لبنان، دار الفكر.
- ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد، (1996)، **زبدة الحلب في تاريخ حلب**، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية.
- ابن العماد الحنبلي عبد الحي بن أحمد، (1986)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دمشق بيروت، دار ابن كثير.
- ابن بشكوال خلف بن عبد الملك، (1955)، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس**، القاهرة مصر، مكتبة الخانجي.
- ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، (د ت ن)، **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**، بيروت لبنان، المكتبة العلمية.
- ابن حزم علي بن أحمد، (2008)، **حجة الوداع**، بيروت لبنان، دار ابن حزم.

- ابن خلدون عبد الرحمن بن محمَّد، (1988)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، بيروت لبنان، دار الفكر.
- ابن عذارى محمَّد بن محمَّد، (1985)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين**، بيروت لبنان، دار الغرب الإسلامي.
- ابن عساكر علي بن الحسن ابن هبة الله، (1995)، **تاريخ دمشق**، دمشق الجمهورية العربية السورية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- إبن قُطْلُوْبَغَا زين الدين قاسم، (2011)، **الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة**، صنعاء اليمن، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة.
- الدمشقي ابن ناصر الدين، (2008)، **التبيان لبَدِيْعةِ البيان (تتضمن تراجم مشاهير أعلام الحفاظ المحدثين)**، الكويت، وقفية المزيني لنشر كتب التراث الإسلامي.
- ابن نقطة محمَّد بن عبد الغني، (1989)، **إكمال الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا)**، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية.
- البكري عبد الله بن عبد العزيز، (د ت ن)، **المسالك والممالك**، القاهرة مصر، دار الكتاب الإسلامي.
- الترمذي محمَّد بن عيسى، (1975)، **سنن الترمذي**، القاهرة مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- الحُصْيرِيُّ علي بن عبد الغني، (2002)، **القصيدة الحصرية في قراءة الإمام نافع**، الجيزة القاهرة مصر، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.
- الزركلي خير الدين بن محمود، (2002)، **الأعلام**، بيروت لبنان، دار العلم للملايين.
- الذهبي محمَّد بن أحمد، (2006)، **سير أعلام النبلاء**، القاهرة مصر، دار الحديث.
- الذهبي محمَّد بن أحمد، (1993)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير وَالأعلام**، بيروت لبنان، دار الكتاب العربي.
- الصفدي خليل بن أيبك، (2000)، **الوافي بالوفيات**، بيروت لبنان، دار إحياء التراث.
- عياض بن موسى، (1966)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، المحَّمدية المملكة المغربية، مطبعة فضالة.
- القزويني عبد الكريم بن محمَّد، (1987)، **التدوين في أخبار قزوين**، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية.
- القفطي علي بن يوسف، (1982)، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، بيروت لبنان، دار الفكر العربي القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية.
- المراكشي عبد الملك محمَّد بن محمَّد، (2012)، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تونس، دار الغرب الإسلامي.

المراجع

- الحداد حنان، (2008)، **مقدمة كتاب الاستدراك على الاستيعاب للحافظ أبي إسحاق إبراهيم الطليطلي المعروف بابن الأمين (489-544 هـ/1095-1149) رواية أبي القاسم بن بشكوال**، الرباط المملكة المغربية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- الحلبي نور الدين محمَّد عتر، (1997)، **منهج النقد في علوم الحديث**، دمشق سورية، دار الفكر.
- الجيلالي عبد الرحمن، (1965)، **تاريخ الجزائر العام**، الجزائر بيروت لبنان، مكتبة الشركة الجزائرية ومنشورات دار مكتبة الحياة.
- عنان محمَّد عبد الله، (1990)، **دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث عصر المرابطين الموحدين القسم الثاني عصر الموحدين وانهيار الاندلس الكبرى**، القاهرة مصر، مكتبة الخانجي.
- الميلي مبارك بن محمَّد: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، (د ر ط)، الجزائر، المؤسسة الوطنيّة للكتاب.
- النعيمي محمود بن أحمد طحان، (2004)، **تيسير مصطلح الحديث**، الرياض المملكة العربية السعودية، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- نويهض عادل، (1980)، **مُعجَمُ أعلام الجزائِر مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحاضر**، بيروت لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.

المقالات

- دمنفو عبد الله بن محمَّد، (1912)، "**الإمام أبو محمَّد الأشيري واستدراكاته على كتاب الاستيعاب لابن عبد البر**"، مجلة مرآة التراث الرابطة المحَّمدية للعلماء، العدد 02.